المؤرخ العربي وأول نوفمبر 1954

(الدكتور يحي نموذجا)

أ. بوضرساية بوعزة

ممّا لا شك فيه أنّ ثورة أوّل نوفمبر لم تؤثر فقط على جانب عربي واحد دون غيره، إنّما تفاعل معها الوجدان العربي من المحيط إلى الخليج وراح المثقف العربي يعبر عن وجدانه من خلال هذه الثورة التي هزّت عمقه وأوحيت فيه عزّته وكرامته التي كاد أن يفقدها بسبب النكسات العربية المتوالية، وعليه فإنّ اندلاع الثورة الجزائرية في أوّل نوفمبر كانت بالنسبة له عودة الأمل من جديد في بعث الوجدان العربي.

والمؤرخ العربي الكبير الدكتور جلال يحي[1] من المثقفين العرب الأوائل الذين تفاعلوا مع ثورة أول نوفمبر، بإحساس صادق، حيث استطاعت هذه الثورة احتلال مكانة خاصة في كتاباته التاريخية، ومن أهمها إحدى مؤلفاته المهمة التي جاءت تحت عنوان " السياسة الفرنسية في الجزائر من (1830 -1960)[2].

لقد خصص الدكتور جلال يحي الباب السابع من كتابه هذا إلى الثورة التحريرية وقد عنونه " فرنسا ومعركة التحرير"، ويرى بأن العناصر الوطنية الأولى التي كانت تؤمن بفكرة تفجير الثورة المباركة تنتمي إلى الوطنيين من حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وقد ربطها من حيث الانتماء العربي الإسلامي إلى كون هذه الحركة كانت تتوافق في طروحاتها مع لجنة تحرير

المغرب العربي في القاهرة، لكن العواصف التي ضربت الحركة الوطنية الجزائرية عام 1953، كانت الدافع الأساسي الذي عجّل الثورة المسلحة.

ويرى الدكتور جلال يحي أن الفئة التي كانت تفكر في تفجير الثورة وهي الأغلبية – حسب رأيه - كانت معجبة بالثورة المصرية وبالطرق التي طبقتها في تمثيل الشعور القومي وبالاتحاد والنظام والعمل .[3]

وبعد أن عرج الأستاذ جلال يحي عن الظروف التي سبقت اندلاع الثورة منها اجتماع بلجيكا عام 1954 الذي قاطعه المركزيون، و الذين بدورهم عقدوا اجتماعهم في أوت من نفس السنة بالجزائر [4].

هذه الظروف الصعبة بالنسبة للحركة الوطنية الجزائرية يراها الأستاذ جلال يحي مناسبة ومواتية لإعلان الثورة المسلحة خاصة وأن فرنسا في نظره خرجت منهكة القوى من حربها في الهند الصينية [5] وبالتالي لا تقوى على إخماد ثورة شعبية عارمة إذا ما اندلعت في الجزائر، لذا فإن الحكومة الفرنسية كانت تدرك هذه الخطورة وهذا ما جعلها تصرح بمبدأ الاعتراف باستقلال كل من تونس و المغرب الأقصى[6] دون الجزائر وذلك حتى

تتمكن من تمتين قبضتها على الجزائر.

من هذا المنطلق يرى الدكتور جلال يحي أن القرار الفوري الذي اتخذه الجزائريون لإعلان الثورة كان أكثر من ضرورة، وذلك قبل أن تتدارك السلطات الاستعمارية الفرنسية الموقف "قبل أن تفيق فرنسا من مشكلاتها وتتفرغ للجزائريين" وقد تم التحضير لهذا العمل الكبير في سرية تامة حتى يكون مفاجأة للعدو وللعالم بأسره، وكان الاتفاق بين الوطنيين الجزائريين على ساعة تفجير الثورة واختيار يوم أول نوفمبر 1954 ليكون الشرارة الأولى لأكبر ثورة من ثورات القرن العشرين.

كما أكد الكاتب عن الخطة المحكمة التي طبقها مفجرو الثورة والتي اعتمدت على السرية التامة حتى لا ينكشف أمر الثورة من طرف سلطات الاستعمار الفرنسي، والسرعة في التنفيذ كذلك، وقد شملت التراب الجزائري كله أو كما قال:"في طول الجزائر وعرضها، من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب في ساعة واحدة، انفجرت هذه النيران في 64 مدينة وقرية في نفس الوقت ..."(7)

لقد فوجئ الرأي العام الفرنسي وحتى الحكومة الفرنسية وقادتها العسكريين بالثورة التي باغتت الجميع ولم يتفطن لها

رجال مخابراتها داخل الجزائر، وبالتالي فإنها صفعة قوية أفقدت الحكومة الاستعمارية في باريس صوابها لشدة وقعها، بل وحتى أصحاب الثورة فوجئوا بها [8].

كما خلص المؤرخ جلال يحي إلى أن اللجنة الثورية للوحدة والعمل [9] (C.R.U.A) التي فجرت الثورة نجحت في تحريك الشعور الجزائري في استرجاع حريته واستقلاله المغتصب بالقوة، حتى الطرف الفرنسي عليه أن يدرك أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

من جهة ثانية فإن هذه المجموعة من لثوار الجزائريين استطاعت الاستحواذ على كميات هائلة من الأسلحة والذخيرة من مخازن العدو وجنود عبر التراب الجزائري ،وقد ركز على هذا الجانب لأهميته المعنوية في الثورة التحريرية ، حيث يعيد فكرة المفاجأة مرة أخرى بالنسبة للعدو، فأول نوفمبر 1954،هذه المرة في نظره على وقع الانفجارات ولم تتمكن حتى من التعرف على مراكز هذه الثورة، وهذا ما أفقدها وعيها وراحت توزع قواتها العسكرية في طول البلاد وعرضها وكان هذا في صالح الثوار"[10].

ويرى الباحث أن اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 في الجزائر والتي أفقدت فرنسا صوابها، توّلد عنها للتوردّ فعل عنيف من طرف السلطات العسكرية الاستعمارية التي راحت تبطش بالشّعب

الجزائري مستعملة كل الوسائل.

وكان الوطنيون من الرجال الأوائل الذين حاولت فرنسا إلقاء القبض عليهم بحيث عمّت هذه الظاهرة كل تراب الجزائري، لكن ردّ الفعل الفرنسي هذا لم يؤثر على الثّورة بل زادها قوة من خلال العمليات المكثفة المتواصلة[11] وهذا ما دفع بالسلطات الاستعمارية الفرنسية إلى إصدار أمر حلّ حركة انتصار الحريات الديموقراطية، وزجّ العديد من رجالاته في غياب السجون.[12]

لقد أبرز الكاتب الشعور الذي كان ينتاب الاستعمار الفرنسي وهو يواجه الثورة، والممثل في محاربه قوة وطنية منظمة عجزت فرنسا في القضاء عليها أو حتى توقيف انتشارها. وهذا الشعور بالعجز، كان هو الأخر وراء وصف المجاهدين الأوائل مفجري الثورة بالعصابات وقطاع الطرق الذين لا يهدفون إلا إلى عمل الفوضى وبث الذعر في نفوس المواطنين الصالحين .[13]

لم يتوان الكاتب في ذكر الحقائق التاريخية من وجهة نظر مؤرخ معاصر إن لم نقل واكب أحداثها ،واهم مراكز عليه في هذا الباب هو بيان أول نوفمبر 1954 ،حيث ذكر ما يلي: " فما كان من رجال المنظمات السرية إلا أن وزعوا منشورهم الأول الذي لخص القضية الجزائرية ووضع كلا من الشعب الجزائري والحكومة الفرنسية

والرأي العام العالمي أمام مسؤولياتهم " [14].

لقد حاول الكاتب إبراز البعد الأساسي لبيان أول نوفمبر 1954 بل أعطى له المكانة اللائقة به لأنه لم يوجه للشعب الجزائري فقط بل للأمة العربية ولكل محبي الاستقلال والحرية في العالم.

كما يرى أن البيان في حد ذاته برنامج ومغزى لثورة أول نوفمبر 1954 التي تهدف إلى استرجاع الاستقلال الوطني ضمن وحدة الشمال الإفريقي.

ومما يوحي بإطلاع الكاتب على محتوى البيان منذ البداية هو تسميته بالمنشور، حيث يقول: " شرح المنشور أن الحركة الوطنية قد دخلت مرحلتها النهائية بعد أن توفرت لها جميع شروط النجاح..." ويضيف قائلا:" لقد اتحد الشعب الجزائري وراء فكرة الاستقلال والعمل، وأصبح في مقدوره المساهمة في حل المشكلات الدولية وتقرير مصير المشكلة الجزائرية بمساعدة الدول العربية الشقيقة والشعوب الإسلامية..."[15].

لقد استطاع المؤرخ الكبير جلال يحي من التعبير بكل موضوعية عن أهم وأبرز ثورة عربية عاشها القرن العشرين ، فكتب عنها بكل جوارحه لأنها لم تكن ثورة الشعب الجزائري وحده، وإنما

كانت الثورة التي هزت الوجدان العربي من الداخل وجعلته يصحو من غفوته التي أصابته بسبب النكسات الأليمة والمتكررة التي ألّمت به.

الهوامش

1 -يعتبر الدكتور جلال يحي من المؤرخين العرب الأوائل الذين اهتموا بالقضايا العربية، فهو من مواليد جمهورية مصر العربية، حامل لشهادة الدكتوراه الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر ومدرس بجامعة أسيوط وكلية العلمين، له عدة مؤلفات منها التنافس الدولي في شرق إفريقيا والتنافس الدولي في بلاد الصومال وتاريخ القومية العربية (الثورة العربية).

2 - كانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في سبتمبر 1959 لدار المعرفة بالقاهرة .

3 -لا نريد أن نعقب على ما ذهب إليه الدكتور جلال يحي حول مسألة إعجاب الجزائريين بالثورة المصرية، هذا الإعجاب الذي حصره في الطبقة المثقفة فقط إنما الثورة المصرية تفاعل معها الشعب الجزائري الذي كان تواقا للاستقلال والحرية .

4 -هذا الصراع الذي كان شديدا بين المصاليين والمركزيين والذي لمح له الدكتور جلال يحي من أهم النقاط التي كانت وراء

التعجيل بانفجار الثورة في أول نوفمبر 1954.

5 - دخلت فرنسا الحرب الهند الصينية وخرجت منها مهزومة في معركة ديان بيان فو التي قادها الجنرال جياب عام 1954.

6 -إن مبدأ الاعتراف باستقلال تونس و المغرب الأقصى جاء على لسان السيد مانديس فرانس عند زيارته لتونس عام 1954 والقاضي بالاستقلال المشروط للدولتين أي أن الاستقلال والسيادة مستقبلا مرتبطان بسيادة ومستقبل فرنسا .

7 -انظر بالتفصيل جلال يحي ، السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830 إلى 1960، دار المعرفة، القاهرة، بلا تاريخ، ص.319.

8 - المقصود بأصحاب الثورة هم الشعب الجزائري برمته الذي لم يتوقع اندلاع الثورة مبكرا رغم إيمانه بها ، أما مفجري الثورة فقد تفاجأوا برد فعلها القوي بين أفراد الشعب الجزائري، واحتضانهم لها بكل قوة وهذا هو سر نجاح ثورة أول نوفمبر 1954 المباركة.

9 - سماها صاحب الكتاب الدكتور جلال يحي بلجنة الثورة للاتحاد والعمل أنظر ص.319 من نفس المصدر .

10–نفسه .

11 - جلال يحي ،نفس المصدر ، ص.319.

12 - لقد أورد الكاتب في صفحة 319 بأن إلقاء القبض على

الرجال الوطنيين في كل مكان لم يؤثر في عمل المنظمات السرية، والحقيقة انه ليست هناك منظمات سرية بل كانت هناك ثورة عارمة فجرتها مجموعة من المجاهدين، وبالتالي كان سخط السلطات الاستعمارية على كل الشعب الجزائري شديدا ودون تمييز.

13 -هذا ما ذهبت إليه بعض الصحف الاستعمارية وروجت له كثيرا منها " صدى الجزائر "و"صدى وهران " و" برقية قسنطينة"، وهذا يدخل في الحرب النفسية ومحاولة تقليص حجم الخسائر التي منيت بها فرنسا .

14 - لم يكن يقصد المؤلف من كلمة المنظمات السرية ،وان هناك منظمات سرية ذات مشارب هي صاحبة بيان أول نوفمبر بل المقصود هنا هم المجاهدون الأوائل أصحاب قرار تفجير الثورة وكتاب بيان أول نوفمبر 1954 وهو الذين تولوا بثه عبر أمواج الأثير وتوزيعه عل الجزائريين وعلى الأشقاء.

15 -جلال يحي ، نفس المصدر، ص.320.